الباب الثالث

القراءة والمعنى

READING AND MEANING

- هل مات المؤلف؟
- الاستعارات والصور البيانية
- السرد القصصي والخاتمة القصصية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السابع

هل مات المؤلف؟
The Author is Dead?

- من الذي يحدد معنى النص: هل هو المؤلف أم القارئ؟
- ما هي النظرة التقليدية للمؤلف والمعنى والنص؟
- كيف يتسنى لنا بطريقة أخرى أن نحدد معنى النص؟
- لماذا كان المؤلف مهماً دائماً؟
- ما نتائج ذلك؟

بعد أن تناولنا أسلوب قراءتنا للأدب ومحتوى ما نقرأه أنتقل الآن لما يحيط بالأدب والمعنى ونظرتنا للعالم من آراء ونظريات لها أهميتها في دراسة الإنجليزية. يعالج الفصل السابع العلاقة بين النصوص والمعنى وبين المؤلف والقارئ.

ما هو دور المؤلف في تحديد معنى العمل الأدبي؟
How Important is the Author in Deciding What a Work of Literature Means?

قد يبدو هذا السؤال ساذجاً للوهلة الأولى فالمؤلف هو مَنْ كتب النص ليعطي معنى ما، لكن هذا السؤال كان محور مناقشات ومناظرات بين نقاد الأدب على مدار الستين عاماً المنصرمة حيث انقسمت الآراء إلى رأيين لا ثالث لهما:

obeikandl.com

أحدهما يمثله كل من يقول بمحورية قصد المؤلف في فهم معنى النص، والآخر يمثله من يلغي وجود معنى واحد ثابت للنص وأن أي فهم يعتمد بالأساس على تفسير القارئ للنص. هنا يظهر اسم الكاتب الفرنسي رولان بارت Roland Barthes (١٩١٥-١٩٨٠م) كأشهر من نادى بالقول الثاني في مقالته "موت المؤلف" Death of the Author، وعلى الرغم من أن تنظير بارت في المقالة يدور حول "وهم القصد" intentional fallacy أو "قصد المؤلف" authorial intention إلا أنها غالباً ما يشار لها بجدلية "موت المؤلف" على غرار ما جاء في عنوان المقالة.

الرأي المساند "لقصد المؤلف": مرجعية المؤلف
For 'Authorial Intention': The Authority of The Author

> "يساند الممتحنون الرأي القائل بأن أفضل تفسير لضمير المتكلم (أنا) في نص مكتوب هو رأي الكاتب ما لم يظهر دليل داخلي على خلاف ذلك إذا ما ابتغينا انتهاج أكثر السبل منطقية، لذلك نجد الطلاب الذين يفرض عليهم معلموهم استخدام مصطلح "الشخصية" أو العبارات "المحايدة" مثل "المتحدث في القصيدة" يواجهون مشاقاً جمة."
>
> (من تقرير لجنة الاختبارات المساعدة ١٩٩٥ك:٢٧)

يرى هؤلاء الممتحنون وغيرهم من مدرسي ودارسي الأدب أن من "البديهي" أن يشير ضمير المتكلم في قصيدة ما إلى المؤلف، وأن خلاف ذلك ما هو

إلا تفسير غير منطقي ومحير، وما هو أكثر بداهة أن يكون معنى النص هو ما قصده كاتبه. لكن "الأمور البديهية" غالباً ما تكون الخطوة الأولى للوثوق في شـــيء دون أدنى تفكير، فمثل تلك الأفكار المسبقة والأطروحات هو ما يجب مراجعته خاصـــةً إذا اتفقنا على أن الهدف من دراسة الأدب هو تحديد أسلوب سليم لقراءتنا. لذلك أدعوك لمناقشة الأفكار التي تنبني عليها "المسلمة البديهية" سالفة الذكر.

يعتقد أصحاب ذلك الاتجاه بأن قصد المؤلف هو النبع الصافي لمعنى النص بلا منازع فيصبح بذلك النص شفرة تخفي ما قصده المؤلف من أفكار حتى يقـــوم القارئ بحل تلك الشفرة ليحصل على الأفكار التي أخفاها المؤلف من قبل، كمـــا يتضح من مخطط الشكل رقم (٧,١).

تنطوي فكرة أن قراءة قصيدة أو رواية أو مشاهدة مسرحية هي مجرد فك شفرة النص للوقوف على ما قصده المؤلف من أفكار علـــى أربعة فرضيات على الأقل نتج عنها آثار مهمة في دراسة الإنجليزية.

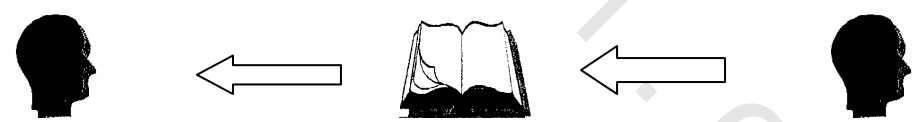

الشكل رقم (٧,١). المنهج "التقليدي" لتفسير النص.

١- المعنى Meaning

إذا فهمنا أن النص ما هو إلا شفرة تحمل قصد المؤلف يؤدي ذلك إلى أن يكون للنص معنى واحداً ثابتاً لا غير مثل أي شفرة لها معنى أوحد، و بمجرد أن يقوم القارئ بفك طلاسم الشفرة فإنه يكون قد شرح النص وحل اللغز معطياً المعنى النهائي الدقيق للنص. لكن الأعمال الأدبية لا تسير على ذلك المنوال، بل قد تكون صياغة النص على درجة من الغموض تسمح بوجود أكثر من معنى له، وهنا يرى أنصار المنهج التقليدي أن ذلك الغموض متعمد من المؤلف وأنه قصد المعنيين معاً (على افتراض مهارة وحنكة ذلك المؤلف) مما أدى إلى احتواء الاختبارات على أسئلة مقالية مثل: "كيف يعرض شكسبير لنقاط القوة والضعف في شخصية (عطيل)؟" وإذا وجد القارئ أن لعطيل نقاط قوة وضعف في آن واحد فذلك لأن شكسبير قصد ذلك. ومن ناحية أخرى يؤدي هذا الفرض إلى استبعاد بعض التفسيرات للنصوص بدعوى أنها تفسيرات خاطئة ومغايرة لما قصده المؤلف.

٢- دليل السيرة الذاتية Biographical Evidence

إذا قبلت فكرة اقتصار معنى النص على ما قصده مؤلفه، فيمكنك فهم نص دون قراءته، تخيل مثلاً أنك وجدت دليلاً -كرسالة من المؤلف لصديق له- يقول فيها: "أقصد من تلك الرواية عرض الصراع بين الخير والشر" عندئذ يمكنك القول: "إن هذه الرواية تتناول الصراع بين الخير والشر، ولقد عرفتُ ذلك مما صرح به المؤلف في رسالته لصديقه!" سيبدو الأمر وقتها كأنك اطلعت على الرسالة الأصلية للمؤلف قبل أن يحولها إلى شفرة مكتوبة، ويطلق على هذا النوع من التفسيرات الذي يتوسل بالسيرة الذاتية للمؤلف من خلال الرسائل والمفكرات وغيرها من شرح المؤلف لنصوص أعماله (نقد السيرة الذاتية) autobiographical criticism.

٣- حضور المؤلف Authorial Presence

تقوم الفرضيات السابقة على فكرة مؤداها أن المؤلف موجود بشكل أو بآخر في النص بحيث يمكنك التواصل معه من خلال قراءتك للنص ويتمخض عن هذا الفرض أسئلة مثل: هل استطاع ميلتون Milton أن يقنعك بجوانب الإبهار وجوانب الفساد في شخصية إبليس وذلك من خلال قراءتك للكتاب الأول في "الفردوس المفقود" والتي تؤكد فكرة وجود المؤلف كشبح يهيمن على النص و يحدد معناه.

٤- تقييم بسيط Simple Avaluation

من الممكن الحكم على كفاءة المؤلف ككاتب من خلال معرفتنا بما قصده في النص. يبدو ذلك كالحكم على لاعب في سباق، فإذا عرفت مثلاً أن عداءً ينوي أن يقطع مائة متر في عشر ثوان، صار من السهل الحكم على إنجازه بعد السباق، وبالمثل إذا أمكنك الوقوف على ما قصده المؤلف من كتابة النص تيسر عليك أن توجه أسئلة مثل: "إلى أي مدى نجحت جين أوستن في عرض تطور شخوصها النسائية؟

على الرغم من اعتماد تفسيرات كثيرة على هذا النوع من الفرضيات التي تسعى وراء قصد المؤلف والتي قد تبدو "بديهية"، إلا أن أصابع النقد قد طالتها من عدة جوانب، نُعرض لها فيما يلي.

الرأي المعارض "لقصد المؤلف": موت المؤلف
Against 'authorial intention': the Death of the Author

أميل في هذا الكتاب للقول بأن النصوص قابلة للتفسير في أي زمان ومكان بناءً على اختلاف وجهات نظر القراء، وهو اتجاه يعارض القول بأن قصد

obeikandl.com

المؤلف هو "المعنى الحقيقي" أو "الجواب الشافي" للأسئلة الموجهة للنص، من ثم فهو يجسد كل الاعتراضات الموجهة للمذهب الداعم لقصد المؤلف.

١–المعنى: هل الأدب شفرة ?Meaning: is literature A Code

هل يمكن القول ببساطة أن الأدب عبارة عن شفرة؟ بالطبع ذلك هو الانطباع الذي يأخذه طلاب كثيرون وفق المناهج الإنجليزية "التقليدية" كالتي درست في المستوى المتقدم "قديماً" حيث كان من البديهيي دراسة الأدب من خلال معرفة ما يدور حوله النص الأدبي (أي "الموضوع") ودور الطالب هو اكتشاف ذلك الموضوع، لذلك نجد أن السؤال الذي يفرض نفسه الآن هو: هل هذا هو الأدب بحق؟

لابد أن تكون إجابتي بالسلب لسببين (على الأقل): الأول هو التناقض الذاتي الذي تنطوي عليه العبارة، فإذا كانت النصوص الأدبية عبارة عن شفرة، فلن يكون هناك وجود للأدب: ألن يكون توصيل الرسالة الأدبية بشكل مباشر هو الأنسب والأفضل بدلاً من صياغتها في عمل خيالي؟ وما الداعي لكتابة رواية لتقول إن "الحرب شر" إذا كان بإمكانك قول ذلك بشكل مبسط ومباشر أو تسير في مظاهرة أو تشكل حزب سياسي أو تجمع (أو حتى تكتفي) باستقلال فكرك عن فكر الحكومة؟ بالطبع هناك نصوص ذات رسائل محيرة، لكن عند استجابتك للرسالة –بقولك مثلاً "يسقط الاستعمار"– ستكتشف أنك لم تتعامل مع العمل الأدبي ذاته بل مع جدل خارج النص.

هناك سبب أكثر أهمية ينفي القول بأن الأدب مجرد شفرة تحتاج للحل. لنأخذ مثلاً تعرف ماهية الشفرة: إذا اتفق شخصان (أو أكثر) على أن الحرف (أ) يرمز له بالرقم (١) وهكذا في باقي الحروف، دل ذلك على استخدام نوع من الشفرات بحيث إذا قال أحدهم عبارة مشفرة استطاع الآخر أن يفكها بنفس

الأسلوب، وبالرجوع لشكل (٢,٣) (انظر ص٣٣) تمثل نفس الشفرة "طريقة النظر" للنص فنجد أن الطرفين متفقان على أن الأرقام (٧،٥،١٨،١،١٢،٤،٩،١٤،٥) هي اسم مشفر وليس مجموعة أرقام. لكن الأمر بالنسبة للأدب ليست كذلك لأن الأدب يدعو إلى تعدد التفسيرات والقراءات لنفس النص. وخلاصة القول إن القراءة لا تعني مجرد فك شفرة سرية لعدم وجود اتفاق على طريقة واحدة مشتركة بين كل القراء لقراءة نفس النص فهل تقرأ نصاً من نفس المنظور الذي كتبه به مؤلفه في القرن التاسع عشر مثلاً؟ بل هل يمكن أن تتفق مع زملائك في نفس النظرة لذلك النص؟ يدل اختلاف النظرة والقراءة دلالة قطعية على اختلاف الشفرات التي تؤدي إلى تنوع واختلاف "المعاني".

٢- دليل السيرة الذاتية Biographical Avidence

هذا الفرض مردود عليه أيضاً، أولاً تختلف قراءة رسالة أو مفكرة كثيراً عن شرح قصيدة أو رواية، فإذا كان من المهم أن تقف على ما يعنية النص لمؤلفه فمن الأهم أن ندرك أن ذلك يختلف تماماً عما يعنيه النص لك شخصياً. ويشير الناقدان و.ك.ويمسات K. Wimsatt. و مونرو بردسلي Monroe Beardsley في مقالتهما الشهيرة "وهم القصد" Intentional Fallacy (١٩٦٤م إلى:

> "يوجه الناقد سؤاله بروح رجل ينوي تخمين المعنى الذي قصده [الشاعر] إليوت عما يعنيه [في قصيدته "بروفروك"] ... إن ما نرمي إليه هو أن الإجابة عن السؤال ليس لها علاقة بالقصيدة، بل إنه ليس سؤالاً أدبياً لأن الأسئلة الأدبية تختلف عن التخمينات في عدم اعتمادها على الكاهن الذي يعرف وحده حل اللغز."

obeikandl.com

إن قراءة النص وتفسيره نشاط لا يحتمل الصواب أو الخطأ لأنه ليس تخميناً لحل لغز قد يخطئ وقد يصيب.

أما السبب الثاني الذي ينفي كون الأدب مجرد شفرة هو أن كل ما يتفوه به المؤلف "الكاهن" من شروح أو رسائل هو نص آخر في حد ذاته قابل للتأويل، لذلك فرسالة المؤلف التي يقول فيها: "أقصد كذا وكذا" ليست دليلاً قاطعاً بل يحتمل أن تكون كذبة، لكنها أيضاً قابلة بدورها للتأويل نظراً لكتابتها في سياق تاريخي معين سادت فيه عدة أفكار، ولأننا قد نعرف أشياءً لم يدركها المؤلف في عصره بل وعاها الناس بعد قرون. والعكس صحيح بالطبع فقد يخبرنا المؤلفون بأشياء غاية في الفطنة لإيضاح أعمالهم لكن شروحهم مشروطة بما يحدده القارئ من معنى للنص، من ثم يمكن الجزم بأن ما يقدمه المؤلف من تفسير أو شرح لأعماله يتطابق مع سلوك أي شخص يتعامل مع ذات النص. كما يمكن النظر للأمر من ناحية أخرى بسؤالنا: "مَنْ يملك كلمات النص؟" يجيب ويمسات وبيردسلي في معرِض حديثهما عن الشعر أن النص "ينفصل عن مؤلفه لحظة ميلادة ثم يشق طريقه في العالم خارج حدود نفوذ قصد المؤلف." كما يتفقان في أن اللغة التي يستخدمها المؤلفون ليست حكراً عليهم، بل هي ملكية عامة يشكل منها القراء ما يشاءون من معان. ليست تلك بالفكرة الجديدة فلقد ختم جيوفري تشوسر Geoffrey Chaucer (حوالي ١٣٤٣/٤–١٤٠٠) قصيدته "ترويلس وكرسيدا" Troilus and Cressidye بقوله: "فلتذهب أيها الكتاب، فلتذهب" وهي مقولة تعطي دلالة قاطعة على علمه بأن القصيدة لم تعد تحت سيطرته بمجرد الانتهاء من كتابتها وأصبح للناس مطلق الحرية في تفسيرها كيفما يشاءون.

إذا ظهر أن قصد المؤلف ليس له سلطان على القارئ فإن التراجم والسير الذاتية لا جدوى لها لأنها تفسير لقصة حياة شخص ما يطلع القارئ من خلالها على حياة المؤلف والحقبة التاريخية التي عاش فيها، لكنها ليست "التفسير الصحيح الأوحد" الذي يخدم النص الأدبي.

٣- حضور المؤلف Authorial Presence

من الصعوبة بمكان فهم الافتراض القائل بحضور المؤلف، لذلك نشعر بالحيرة حيال الأسئلة التي طرحناها آنفاً مثل: "هل أقنعك ملتون في الكتاب الأول من ملحمته "الفردوس المفقود" بأن شخصية إبليس مبهرة وفاسدة في نفس الوقت؟" وغيرها من الأسئلة، لما تستدعيه لديك من صورة ملتون الذي يظهر لك محاولاً إقناعك أن الكتاب الأول "للفردوس المفقود" يعرض شخصية إبليس على أنها مبهرة وفاسدة في آن واحد، وبالطبع فإن نص الملحمة وطريقة تلقيك له هما المحددان لإقناعك من عدمه وليس ملتون نفسه؛ فالنص لا يجلب لك المؤلف أمامك بألاعيب سحرية أثناء قراءتك للملحمة وكأنه يتحاور معك—كما يتضح من الاتجاه الداعم لحضور المؤلف- فما كتبه ذلك المؤلف مجرد حروف على ورق، فما نراه هي الكتابة وليس المؤلف، تماماً كالكرسي الخالي في مأدبة بعد أن قام صاحبه وتركه، (انظر في ثنايا هذا الكتاب مثلاً وكُتُب أخرى في نفس الوقت وستجد عبارات: "كما ذكرت سابقاً... أو "كما قلنا آنفاً..." إلا أنه لا يوجد شيء ذكر أو قيل بل كُتِبَ على ورق. لكن استخدام ذلك النوع من العبارات يوحي بوجود حوار مع المؤلف على سبيل المجاز وليس الحقيقة، فبينما تقرأ النص الذي بين يديك الآن تجدني في مكان آخر!)

يذهب بعض النقاد إلى القول بأن المؤلف يتحدث من خلال النص، ولكن كيف يمكنك تحديد زمن الحديث؟ وإذا عَرضَتْ كثير من الروايات أو المسرحيات لوجهات نظر الشخوص مثلاً، فأيها تعبر عن وجهة نظر المؤلف نفسه؟ وحتى إذا توفرت لدينا فقرات تحتوي على ضمير المتكلم "أنا"، فكيف لنا أن نعرف أنه صوت المؤلف؟ تعد تلك الأسئلة نقطة البدء لمقالة بارت "موت المؤلف" حيث تلمس مواضع الغموض في أي رواية والتي لا يمكن تحديد هوية المتحدث فيها أهو صوت المؤلف؟ أم هو صوت دور يلعبه المؤلف (كأن يكون الراوية أو "روح العصر")؟ وهل تتضح دائماً هوية المتحدث؟ أم هل يستتر المؤلف خلف قناع ثم يظهر فجأة المؤلف "الحقيقي"؟ لذا يتلخص طرح بارت في صعوبة تحديد اللحظة التي "يتحدث" فيها المؤلف لكي تصل للمعنى "الموثوق به" الصادر عن المؤلف ذاته لأن ذلك لن يتيسر لك من خلال النص المكتوب.

كيف يتسنى لنا الوقوف على "قصد المؤلف" وفهمه إذا غاب صوت الكاتب عن النص؟ لا نستطيع التحدث مع المؤلفين ولا حتى تحديد جزء من النص يدلنا على "ما قصدوه فعليا"، لذا فمن الحماقة محاولة الوصول لقصد المؤلف مادام يكتنف صوته الغموض وقد يفيدنا الاعتماد على النص فقط في الوصول للمعنى بدلاً من الاعتماد على قصد المؤلف.

٤- تقييم بسيط Simple Evaluation

كيف تقيم عملاً إذا تعسر عليك الوقوف على قصد مؤلفه بغض النظر عن محتواه؟ ومَن يحدد معايير التقييم؟ هل يعني السؤال "كيف نجحت جين أوستن في عرض نمو شخصياتها النسائية؟" وهل يجود نموذج محدد يجب الالتزام به لعرض ذلك النمو بنجاح؟ وهل باستطاعتك مقارنة جين أوستن بروائية أخرى معاصرة لها

كفرانسيس بيرني Burney rances (١٧٥٢-١٨٤٠م لتحكم على إحداهما بالأفضلية على الأخرى؟ تستلزم مسالة التقييم والحكم قدراً كبيراً من الحيادية والموضوعية لا يتوفر لأي أحد حيث تفترض الحيادية أن يفكر الجميع بنفس الأسلوب. ولقد اتضح الآن أن الحكم على "نجاح" كاتب ما هو نتاج للطريقة التي تطورت بها المدرسة النقدية وليس كعملية مفيدة لذاتها على عكس ما اعتدنا عليه من أن وظيفة الناقد هي تحديد "الأعمال العظيمة" و"الكتاب العظماء".

في ضوء هذه الأفكار الجديدة يمكننا إعادة رسم العلاقة بين النص والمعنى (انظر الشكل رقم ٧,٢).

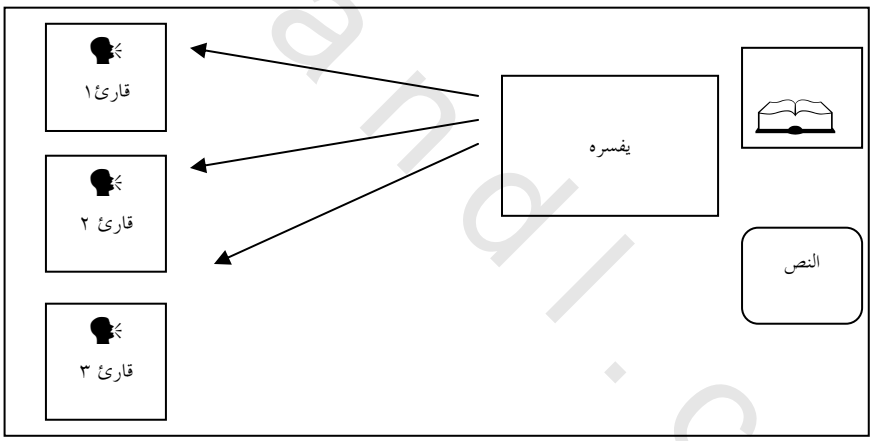

الشكل رقم (٧,٢) أصبح النص قابلاً لعدد من التفسيرات بعد "موت المؤلف"

من هنا يمكن اعتبار المؤلف حين يدلي بما قصده عند كتابة نص ما قارئٌ آخر، له تفسيره الخاص كأي قارئ آخر. أنه لم يعد هو الشخصية المهمة الوحيدة لتحديد معنى النص لأن المؤلف قد مات كما تصفه مقولة رولان بارت.

obeikandl.com

لماذا كان للمؤلف كل تلك الأهمية؟

So why has the Author Always Seemed so Important?

يهتم من يدعي "موت" المؤلف بالطريقة التي "ولد" بها المؤلف أيضاً لدحض مزاعم قصد المؤلف لأن "المؤلف" وما يعول عليه من أهمية في الثقافة الغربية الأوروبية أمر مختلق ككل الأفكار الأخرى، ويستحيل بالطبع تحديد الوقت الذي اخترعت فيه شخصية المؤلف ودوره خاصةً وأنها مفاهيم عامة طالما استخدمناها دون مراجعة. لكن هناك أدلة تُرجِع ظهور فكرة المؤلف للقرن الثامن عشر، ولا يعني ذلك أن الناس لم تمارس الكتابة قبل ذلك بل الشاهد هو اختلاف إدراك الناس لهوية المؤلف وعلاقته بالنص فلم يهتم أحد بمعرفة المؤلف قبل اختراع وليم كاكستون William Caxton (١٤١٥/٢٤-١٤٩١/٢) للطباعة وإنشائه لأول مطبعة في إنجلترا في عام ١٤٦٦ أو ١٤٦٧م والدليل على ذلك عدم ذكر اسم المؤلف لقصص ورومانسيات العصور الوسطى (باستثناء تشوسر)، فلقد قرأ الناس "جوين والمحارب الأخضر" Gwain and the Green Knight دون الاهتمام بمعرفة مؤلفها (بعكس ما هو معروف اليوم، فإذا لم يذكر المؤلف في وقتنا هذا اسمه على العمل، دل ذلك على شهرة هذا الكاتب، لذا فهو يخفي اسمه للفرار من الظلم أو للتهرب من الضرائب أو للبعد عن الفضائح مثلاً).

ثم تطور مفهوم المؤلف "كمصدر حقيقي" لمعنى النص بشكل كبيرً في القرن الثامن عشر أي فترة الثورة الصناعية التي شهدت تغيراً هائلاً في الفكر البشري حيث أصبحت الكتابات من الممتلكات التي تباع وتشترى، من هنا أمكن لشخص اتخاذ الكتابة مهنة له دون الحاجة لراعي أو وصي patron كما كان الأمر سابقاً. أي أن الكتابة أضحت مصدر رزقٍ مما جعل ذكر اسم المؤلف ضرورياً

لإثبات "ملكيته" للعمل، وبالإضافة لذلك لعبت الحركة الرومانسية في الأدب دورها المؤثر في تدعيم دور المؤلف حيث انصب اهتمام هذه الحركة التي مثلها مجموعة من الشعراء والمفكرين أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر على عبقرية الكاتب، ولا يقصد بتلك العبقرية أنه "متقد الذكاء" فقط كما نعني بها اليوم، بل امتد معناها لتشمل الشخص ذو القدرات الإبداعية والفنية الهائلة التي تؤهله ليكون وسيطاً بين قوى الكون الخفية (كقوى الطبيعة أو الخيال) والعالم المادي للبشر. لذا أصبح من الضروري تمييز هذا المؤلف العبقري الذي يمتلك كل تلك القدرات الإبداعية الجبارة عن المفتقرين لها وذلك بذكر اسمه على أعماله.

كما أكد المفهوم الرومانسي للمؤلف على أصالته، لكن أبدى البعض شكوكهم حيال فكرة الأصالة ذاتها، فمهما تكن الرسالة التي يود المؤلف توصيلها للقراء يقل لديه عدد المفردات المُعيْنَة له على ذلك، تماماً كما يقل عدد الألوان المتاحة للرسام مما يحد من توزيعه للألوان، وحتى إذا اتسعت رقعة الألوان بالمزج إلا أنها ما تزال محدودة (حاول أن تتخيل لوناً مختلفاً تماماً لم يره أحد من قبل). وكذلك حال المفردات المتاحة للكاتب التي تعد الأداة الوحيدة التي يمكنه التعبير عن أفكاره من خلالها، فإذا أراد المؤلف التعبير عن فكرة أصيلة فعليه اللجوء لمفردات ذات معان موجودة مسبقاً وهو ما يفسر مقولة أن الكلمات هي التي تشكل إبداع المؤلف (تناقض تلك الفكرة الافتراض المعهود بأن المؤلف هو من يشكل اللغة وليس العكس)، والأهم من ذلك كله هو التزام كثير من الكتابات الأدبية بمعايير فنية مما يحتم على أي عمل أن يتوافق إلى حد ما مع جنس أدبي معروف فنجد مثلاً في القصص البوليسية أن السفاح إما أن يقع في أيدي الشرطة أو أن يهرب. في ضوء ذلك الالتزام تختفي الأصالة، وإذا أمكن الرد على هذا الاتجاه وتغيير قواعده،

فإن ذلك سيخضع بدوره لقواعد ومعايير طالما أنه تمرد على شيء آخر. ولا تعد هذه المعايير جزءاً من قصد المؤلف الأصيل بل إن الأفكار "الأصيلة" يعاد تشكيلها وفق تقاليد وقواعد الكتابة.

لذلك يمكن القول بأن "المؤلف" ما هو إلا تصنيف آخر مختلق، كما أن تعريفه بأنه "الشخص الذي يوصل الأفكار الأصيلة" ما زال محل خلاف، لكن ما هي عواقب ذلك كله؟

نتائج موت المؤلف

Consequences of the Death of the Author

إذا سلمنا بمقولة "موت المؤلف" وأن القراءة من أجل اكتشاف المعنى السري الدفين للمؤلف لم تعد السبيل المنطقي الوحيد الذي يجب أن تسير فيه، فسيلوح في الأفق أسئلة أخرى تتمحور حول كيفية فهم فكرة "المؤلف" طالما أنه لم يعد مصدر معنى النص، لكن ذلك لا يعني أن مصطلح المؤلف قد فقد أهميته بالكلية فمازال الإلمام بحياة المؤلف يضيء لنا جوانب عدة من النص. وفي محاولة للخروج من هذا المأزق صاغ الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي ميشيل فوكو Michel Foucault (١٩٢٦-١٩٨٤م) مصطلح "وظيفة المؤلف" author function لتوضيح استخدام فكرة المؤلف انطلاقاً من الدور الذي يلعبه ذكر اسم المؤلف في تصنيف العمل الأدبي بحيث يمكنك معرفة نوع النص بشكل جيد من حيث الأسلوب والحقبة الأدبية المتعلقة مثلاً باسم إميلي برونتي Emily Bronte أو ستيفن كنج Stephen King، ولا يعني ذلك التشفع لفكرة المعنى بل يساعد اسم المؤلف في تجميع عدة نصوص معاً. كما تستخدم وظيفة المؤلف (صح ذلك أم لم يصح) في إعطاء قيمة معينة

للنصوص. فعندما يزعم أحدهم من حينٍ لآخر أنه أكتشف قصيدة جديدة لشكسبير يحتدم الجدل أكثر مما يحدث مع ظهور قصيدة لشاعر أقل منه شهرة. وكذلك الحال إذا أعجبك عمل ما لروائي فقد تشتري رواية أخرى لنفس المؤلف أي أن اسمه أصبح بمثابة "إشارة مرجعية"تحمل دلالاتً تتعلق بالأسلوب الأدبي للنص أو موضوعاته، كأن يهتم النقاد بأسلوب أفرا بن Aphra Behn (١٦٤٠-١٦٨٩م: كاتبة مسرحية وروائية ومترجمة إنجليزية) أو بفلسفة صمويل بيكيت Samuel Beckett (١٩٠٦-١٩٨٩م: كاتب مسرحي أيرلندي). أي أن أسماء المؤلفين تشير إلى مجموعة من "الأفكار العامة" والمذاهب الفكرية – مثل "الدارونية" أو "الماركسية"- التي قد لا يرتبط هؤلاء الكُتَّاب بها تاريخياً لكن تدل أسماؤهم على تبنيهم لها، مما يعزز مصطلح وظيفة المؤلف الذي لا يفرض معنى بعينه على النص.

الأهم في هذا الصدد هو ظهور ما أسماه رولان بارت "مولد القارئ" the birth of the reader بعد "موت المؤلف" أو على الأقل انتفاء مرجعيته كمصدر لمعنى النص، وأفهم من ذلك أن العمل الأدبي له معنى لكنه ليس لغزاً أو سراً يجب البحث عنه وكشفه، أو شفرة صاغتها عبقرية المؤلف ويجب فك طلاسمها بل هو تفاعل بين القراء والنص ذاته لما لكل قارئٍ من قدرة على تفسير النص والخروج منه بعدة معانٍ مختلفة، فلا تكترث بما قصده المؤلف من النص فالمعنى لم يعد في أصل النص بل في المنحى الذي تأخذ النص إليه، كما لم يعد فهم النص عملية "تقديس وفك طلاسم السر" بل هي عملية توليد للمعنى بأسلوب تفاعلي.

مازال قصد المؤلف محط أنظار الكثيرين للوصول إلى قراءات مفيدة ومقنعة للنص. ويبدو أن الكثيرين يلهثون وراء إيجاد سلطة عليا تفسر النص وتقدم لهم الجواب الشافي مما يربط لفظة "المؤلف" author بمصطلح "الحجة أو المرجع"

authority، وتزيد تلك الرغبة في الوصول لمعنى نهائي للنص عند قراءة الأدب بالتحديد لما يثيره من معان شتى في نفس القارئ، الأمر الذي تبدو معه تلك الفكرة على درجة من الخطورة إذا ما أُخذت على محمل الجد، فإذا كانت دراسة الأدب تساعد على أن نفكر في العالم من حولنا، وإذا لم تتوفر لدينا إجابات شافية لمعنى العمل الأدبي، فهل من سبيلٍ لإيجادها في أي مكان آخر؟

ملخص

Summary

- غالباً ما يُفترض أن المؤلف هو المحدد لمعنى النص لكن للقارئ دور في ذلك أيضاً.
- يثير الاتجاه التقليدي في فهم النص -أي "ما قصده المؤلف"- عدة تساؤلات حول فرضيات المعنى واليقين في السيرة الذاتية وحضور المؤلف وتقييم العمل الأدبي.
- لم يتفق النقاد على إجابات لتلك التساؤلات، فكلنا يقرأ النص من وجهة نظره وقد يقدم المؤلفون تفسيرات لنصوصهم مما يفيد عدم وجود معنى واحد ثابت للحكم عليه.
- إن فكرة المؤلف فكرة مختَلَقَة بدأ ظهورها في القرن الثامن عشر.
- مازال مصطلح "المؤلف" يُستخدم للدلالة على الأسلوب أو الفن الأدبي أو القيمة الأدبية لكن معنى النص يعتمد بشكل أكبر على تفاعلك معه وليس على قصد المؤلف منه.

obeikandl.com